

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ))

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْغَنِيِّ الْكَرِيمِ، وَاصِفِ نَبِيِّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشَدُّ النَّاسِ حَيَاءً، وَأَكْثَرُهُمْ حِلْمًا وَأَعْظَمُهُمْ وِفَاءً، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ ذَوِي الْخُلُقِ الْكَرِيمِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -؛ فَمَنْ اتَّقَى اِرْتَفَعَتْ دَرَجَاتُهُ، وَضُوعِفَتْ حَسَنَاتُهُ، وَكُفِّرَتْ عَنْهُ سَيِّئَاتُهُ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(٢).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّهُ لَمِمَّا يَجْدُرُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَنْظَرَ نَظَرَ الْعَاقِلِ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)). فَمَا مَعْنَى الْحَيَاءِ الَّذِي ذَكَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِهَذَا الذِّكْرِ الْحَسَنِ؟ وَلِمَ خَصَّ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ الْحَيَاءَ بِالذِّكْرِ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ؟ الْحَيَاءُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - صِفَةٌ قَلْبِيَّةٌ فَطَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَيْهَا؛ فَهِيَ مُرَكَّبَةٌ فِيهِ ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ آلَتِي فطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(٣). وَالْحَيَاءُ مَعْنَاهُ "انْقِبَاضُ النَّفْسِ عَنْ شَيْءٍ وَتَرْكُهُ حَذَرًا مِنَ اللَّوْمِ فِيهِ، وَالْحَيَاءُ خُلُقٌ يَبْعَثُ صَاحِبَهُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ"، فَالْحَيَاءُ إِذَنْ هُوَ الْمُحَرِّكُ الَّذِي يُحَرِّكُ الْإِنْسَانَ إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ وَكَمَالٍ، وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْإِنْتِكَاسِ فِي الرِّذَائِلِ وَالنَّقْصِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ مَحْمُودًا كُلَّ هَذَا الْحَمْدِ

(١) سورة القلم/ ٤.
(٢) سورة الطلاق/ ٢.
(٣) سورة الروم/ ٣٠.

فِي الشَّرِيعَةِ الغَرَاءِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَلْ هُوَ مَحْمُودٌ عَلَى لِسَانِ كُلِّ رَسُولٍ وَنَبِيِّ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَفِي الأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ: ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)).

وَقَدْ حَصَّ النَّبِيُّ ﷺ الحَيَاءَ بِالذِّكْرِ مِنْ شَعَبِ الإِيمَانِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ لِابِسَهُ عَلَى الشُّعْبِ الأُخْرَى؛ فَتَجِدُ الحَيَّ مِنْ النَّاسِ، ذُكُورِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ، يَأْتِي كُلَّ خَيْرٍ وَيَفْعَلُ كُلَّ مَعْرُوفٍ مُنْتَظِمًا فِي سِلْكِ المُسَارِعِينَ، وَدَاخِلًا فِي السَّابِقِينَ السَّابِقِينَ، وَمُنْتَهِيًا عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَمُجْتَنِبًا كُلَّ مُنْكَرٍ، وَإِذَا غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ فَوَقَعَ فِي الخَطَا سَارِعًا إِلَى الإِنَابَةِ، وَتَابَ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا؛ وَمِنْ هَذَا كَانَ "الحَيَاءُ مِنَ الدِّينِ"، بَلْ إِنَّ الحَيَاءَ "هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ"، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلا بِخَيْرٍ))، وَالحَيَاءُ هُوَ لِباسُ النُّقْوَى، وَقَدْ قَالَ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ النُّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (١)، وَفِي الأَثَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ حُلُقًا، وَحُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ)).

وَالحَيَاءُ - عِبَادَ اللَّهِ - يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ وَمِنَ المَرْأَةِ، وَإِذَا كَانَ الحَيَاءُ مِنَ المَرْأَةِ زِينَةً، فَإِنَّهُ مِنَ الرَّجُلِ كَمَالٌ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْظَمَ النَّاسِ حَيَاءً؛ فَقَدْ "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا"، وَمِنْ حَيَاتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ - إِنْ كَرِهَ شَيْئًا مِنْ أَحَدٍ - لَا يُصْرِحُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ حَيَاتِهِ، بَلْ إِنْ النَّاسُ يَعْرِفُونَ كَرَاهَتَهُ لِذَلِكَ الشَّيْءِ مِنْ وَجْهِه الشَّرِيفِ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ التَّنْبِيهَ عَلَى أَمْرٍ خَاطِيٍّ لَمْ يَذْكَرِ اسْمَ مَنْ وَقَعَ فِيهِ، بَلْ كَانَ يَقُولُ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا!!))، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ صُورَةَ مِنْ حَيَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ، فَقَدْ كَانَ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ بَيْتَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْعُوهُمْ، وَيُطِيلُونَ الجُلُوسَ وَالحَدِيثَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَتَأَذَى مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ تِلْكَ الأَوْقَاتَ كَانَتْ خَاصَّةً بِهِ وَبِأَهْلِهِ، وَكَانَ قَدْ جَعَلَ لِلنَّاسِ وَقْفًا يَجْلِسُ لَهُمْ فِيهِ فِي المَسْجِدِ، فَيَسْأَلُهُ السَّائِلُ، وَيَتَحَدَّثُ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَحَدَّثَ، وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لأَوْلِيكَ الدَّاخِلِينَ فِي بَيْتِهِ اخْرُجُوا أَوْ قُومُوا مِنْ شِدَّةِ حَيَاتِهِ، حَتَّى تَنْزَلَ القُرْآنُ يُعَلِّمُهُمْ كَيْفَ يَتَعَامَلُونَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَعْتَبُ عَلَيْهِمْ قَائِلًا لَهُمْ: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِهِ﴾



مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي. مِنَ الْحَقِّ ﴿١﴾.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرَ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتَّبَاعِهِ.
أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلِنَنْظُرَ كَيْفَ أَنْ حَيَاءً تِلْكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي جَاءَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
مِنْ طَرْفِ أَبِيهَا كَانَ سَبَبًا فِي ذِكْرِهَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهَا بِحَيَائِهَا لِسَانَ صِدْقٍ فِي
الْآخِرِينَ، وَاسْتَحَقَّتْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ الْكَرِيمَةَ حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ زَوْجَةً لِنَبِيِّهِ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْأُخْتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ، وَفِي ذِكْرِهَا يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴿٢﴾، فَكَانَتْ مَثَلًا لِلنِّسَاءِ إِلَى
يَوْمٍ يُبْعَثُونَ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾. وَقَدْ يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ
عَنْ صِفَةِ الْحَيَاءِ كَيْفَ يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ؟ وَقَدْ أَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، وَجَعَلَ لِلْحَيَاءِ
مِيزَانًا يَعْرِفُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْحَيِّ أَنَّهُ فِي خَلْوَتِهِ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا يَكْرَهُ أَنْ يَرَاهُ
النَّاسُ يَفْعَلُهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ فَلَا تَفْعَلْهُ إِذَا خَلَوْتَ))،
وَمِنْ عِلَامَاتِ الْمُسْتَحْيِيِّ أَنَّهُ لَا يُرَى بِمَوْضِعٍ يُسْتَحْيَى مِنْهُ، وَإِذَا كَانَ الْحَيَاءُ مَانِعًا مِنَ الْوُقُوعِ
فِي الْخَطِيئَةِ أَوْ النَّقِيسَةِ، فَإِنَّ الْحَجَلَ يَكُونُ بَعْدَ الْوُقُوعِ فِيهَا وَانْكَشَافِ الْأَمْرِ خَوْفًا مِنْ سُقُوطِ
الْمَنْزِلَةِ؛ فَالْحَجَلُ مِمَّا كَانَ، وَالْحَيَاءُ مِمَّا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُلْزَمَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ
الْمُرْسَلِينَ فَعَلَيْهِ بِالْحَيَاءِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ سُنَنِهِمْ وَأَكْرَمِ سَجَايَاهُمْ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ
أَقْتَدَ ﴿٤﴾.

(١) سورة الأحزاب/ ٥٣.
(٢) سورة القصص/ ٢٥.
(٣) سورة الحديد/ ٢١.
(٤) سورة الأنعام/ ٩٠.



هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُم رُبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعِنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيْثُ أَلَّا تَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾.

